سورة الكهف من آية (١- ٤٩) دراسة دلالية أسلوبية

أ.م.د. محمد جبار حداد شويط
المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة / ٣
قسم الاشراف الاختصاصي

الملخص:

فقد حظي القرآن الكريمُ بجهودٍ جبارة لمعرفة معانيه والوقوف على أسراره ما لم يحظ أيُّ نصٍ سماوي، من النصوص السابقة مثله، فهذا الكتاب أنزلهُ الله على أمّةٍ كانت تعيش في وضعٍ معرفي محدود، مشتملاً على الأحكام والقوانين والقيم الإنسانية والأخلاقية مخاطباً الناس منذ نزولِهِ وحتى يوم المعاد، فقد نزل القرآن بسبكٍ جديدٍ وأسلوب فريد كان غريباً على العرب، لا هو نثر مثل نثرهم، ولا هو شعر مثل شعرهم ، فقد جمع بين مزايا أنواع الكلام فاحتوى على أناقة الشعر وطلاقة النثر، فنهض المسلمون عاكفين على معرفة معانيه ودراسة شؤون الآيات القرآنية و ملابساتها وما يتعلق بها من العلوم والمعارف، وتدبر معانيه وإعراب تراكيبه ووزن تصاريفه وكشف معانيه ودلالته وبيان تناسب الآيات والسور فيه وغيرها من الأغراض البلاغية والتراكيب النحوية والدلالات المعجمية فشرعت بدراسة هذه السورة دراسة دلالية أسلوبية ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحية: (سورة الكهف، التراكيب النحوية).

Surah Al-Kahf from verse (1-49) a stylistic study

Dr. Muhammad Jabbar Haddad Shweit
General Directorate of Education, Baghdad, Al-Rusafa/3
Specialized Supervision Department

Abstract:

The Noble Qur’an has received tremendous efforts to know its meanings and learn about its secrets, unlike any previous heavenly text. This book was sent down by God to a nation that was living in a limited state of knowledge, containing rulings, laws, and human and moral values, addressing people from its revelation until the Day of Resurrection. The Qur’an was revealed in a new form and in a unique style that was strange to the Arabs. It is not prose like their prose, nor is it poetry like theirs. It combined the advantages of different types of speech and contained the

elegance of poetry and the fluency of prose. So the Muslims rose up and devoted themselves to knowing its meanings and studying the affairs of the Qur'anic verses and their circumstances. And the sciences and knowledge related to it, and contemplating its meanings, parsing its compositions, weighing its morphemes, revealing its meanings and significance, and explaining the proportionality of the verses and surahs in it and other rhetorical purposes, grammatical structures, and lexical connotations. So I began studying this surah, a semantic and stylistic study, and our last supplication is that praise be to God, Lord of the Worlds.
Keywords: (Surat Al-Kahf, grammatical structures).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ٤ ﴾ [الكهف: ١ – ٤]

هنا ورد إشكال إذا لم يكن عوجًا كان قيمًا، وإذا كان قيمًا كان غير عوج، في كل واحد من الحرفين معنى الآخر، وهذا الاشكال طرحه الإمام أبو منصور الماتريدي ، وأجاب عنه فقال:((إلا أن من عادة العرب تكرار الكلام وإعادته على التأكيد، كقوله تعالى: (مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ)، وإذا كن مسافحات لم يكن محصنات، حرفان مؤديان معنى واحدًا، إلا أنه كرر، لما ذكرنا أن من عادة العرب التكرار، وكذلك ما ذكر: (لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا) البأس: هو الشديد، والشديد هو البأس، هما واحد، فعلى ذلك الأول))(

وذكر الزمخشري هذا التكرار مفنقلاً :((فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنى عن الاخر؟ قلت: فائدته التأكيد، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السير والتصفح))[١].

وقال أبو حيان :((وَالظَّاهِرُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي (لَهُ) عَائِدٌ عَلَى الْكِتَابَ وَعَلَيْهِ التَّخَارِيجُ الْإِعْرَابِيَّةُ السَّابِقَةُ، وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ الضَّمِيرُ فِي (لَهُ) عَائِدٌ عَلَى عَبْدِهِ وَالتَّقْدِيرُ عَلَى عَبْدِهِ وَجَعَلَهُ قَيِّماً))[٢]. وقوله عزَّ وجل (له) و لم يقل (فيه) يبدو على القول الثاني يكون جوابًا لهذا السؤال والله أعلم، لكن وجدتُ الطاهر بن عاشور أجاب عن هذا الإشكال بقوله: ((وَضَمِيرُ لَهُ عَائِدٌ إِلَى الْكِتَابَ، وَإِنَّمَا عُدِّيَ الْجَعْلُ بِاللَّامِ دُونَ (فِي) لِأَنَّ الْعِوَجَ الْمَعْنَوِيَّ يُنَاسِبُهُ حَرْفُ الِاخْتِصَاصِ دُونَ حَرْفِ الظَّرْفِيَّةِ لِأَنَّ الظَّرْفِيَّةَ مِنْ عَلَائِقِ الْأَجْسَامِ، وَأَمَّا مَعْنَى الِاخْتِصَاصِ فَهُوَ أَعَمُّ))[٣].

وقال (قيِّمًا) صفة مشبهة ، وهي تدل على الثبوت، ولم يقل (قائمًا) باسم الفاعل، ، وكما استفيد في درسنا الاسلوبية أنَّ الفرع فيه معنى الأصل وزيادة، فيكون الكلام أبلغ في نفي العوج عنه[٤].

وقوله عزَّ وجلَّ: **قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ٢]**، ظاهره هناك تكرار، لكن لو تدبرنا أكثر لو وجدنا تخصيص المؤمنين بالذين يعملون الصالحات وكذلك ليس كل عمل بل العمل الحسن وهذا ما ذهب إليه الإمام الماتريدي بقوله: ((فيه دلالة: أنه قد يكون المؤمنون يستحقون اسم الإيمان، وإن لم يعملوا الصالحات، حيث ذكر المؤمنين، ثم ذكر الأعمال الصالحات، خص المؤمنين بعمل الصالحات، لكن البشارة المطلقة إنما تكون للمؤمنين الذين عملوا الصالحات؛ لأنه لم يذكر البشارة المطلقة في جميع القرآن إلا للمؤمنين الذين عملوا الصالحات، ثم المؤمنون الذين عملوا غير الصالحات في مشيئة الله))[٥].

وقوله تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ [الكهف: ٣ – ٤]**، هنا لماذا لم يستعمل رب العزة (باقيين) بدل (ماكثين) ذكر أبو حيان بأن ماكِثِينَ فِيهِ أَيْ مُقِيمِينَ فِيهِ، فَجَعَلَهُ ظَرْفًا لِإِقَامَتِهِمْ، وَلَمَّا كَانَ الْمُكْثُ لَا يَقْتَضِي التَّأْبِيدَ قَالَ أَبَداً وَهُوَ ظَرْفٌ دَالٌّ عَلَى زَمَنٍ غَيْرِ مُتَنَاهٍ[٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً

﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف: ٤ - ٥]، تكلم الإمام الرازي عن عطف الخاص على العام المتكررة في القرآن الكريم فقال:((اعْلَمْ أَنَّ قوله تعالى: وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ [الْكَهْفِ: ٢] وَالْمَعْطُوفُ يَجِبُ كَوْنُهُ مُغَايِرًا لِلْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ فَالْأَوَّلُ عَامٌّ فِي حَقِّ كُلِّ مَنِ اسْتَحَقَّ الْعَذَابَ، وَالثَّانِي خَاصٌّ بِمَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ وَلَدًا، وَعَادَةُ الْقُرْآنِ جَارِيَةٌ بِأَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ قَضِيَّةً كُلِّيَّةً عَطَفَ عَلَيْهَا

بَعْضَ جُزْئِيَّاتِهَا تَنْبِيهًا عَلَى كَوْنِهِ أَعْظَمَ جُزْئِيَّاتِ ذَلِكَ الْكُلِّيِّ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨] فكذا هاهنا الْعَطْفُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَقْبَحَ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ إِثْبَاتُ الْوَلَدِ لِلَّهِ تَعَالَى))(٧).

هنا إشكال أيضًا الكلام إما أن يكون في النفس أو ينطق به والكلام لا يخرج إلا من الأفواه فلماذا صرح بما هو معلوم بالضرورة قال الإمام الزمخشري في هذا الموضع :((وتَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم، فإن كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدّثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوّهوا به ويطلقوا به ألسنتهم، بل يكظمون عليه تشوّرا من إظهاره، فكيف بمثل هذا المنكر))(٨).

وأحيانًا نقول لمن تكلم بشيء عظيم كيف خرجت هذه الكلمة من فمك ، أما الطاهر بن عاشور فقال: ((وَالتَّعْبِيرُ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ لِاسْتِحْضَارِ صُورَةِ خُرُوجِهَا من أَفْوَاههم تخييلا لِفَظَاعَتِهَا، وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ الْكَلَامِ لَيْسَ لَهُ مَصْدَرٌ غَيْرُ الْأَفْوَاهِ ؛ لِأَنَّهُ لِاسْتِحَالَتِهِ تَتَلَقَّاهُ وَتَنْطِقُ بِهِ أَفْوَاهُهُمْ وَتَسْمَعُهُ أسماعهم وَلَا تتعقله عُقُولُهُمْ لِأَنَّ الْمُحَالَ لَا يَعْتَقِدُهُ الْعَقْلُ وَلَكِنَّهُ يَتَلَقَّاهُ الْمُقَلِّدُ دُونَ تَأَمُّلٍ))(٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ [الكهف: ٦ – ٩]، ذكر ابن عطية بأن آثارهم فيها استعارة فصيحة، من حيث لهم إدبار وتباعد عن الإيمان، وإعراض عن الشرع فكأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو في آثارهم يحزن عليهم(١٠).

والرازي بيَّن أصل الاستعارة في الآثار فقال :((عَلَى آثَارِهِمْ أَيْ مِنْ بَعْدِهِمْ يُقَالُ مَاتَ فُلَانٌ

عَلَى أَثَرِ فُلَانٍ أَيْ بَعْدَهُ وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ بَقِيَتْ عَلَامَاتُهُ وَآثَارُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ مُدَّةً ثُمَّ إِنَّهَا تَنْمَحِي وَتُبْطِلُهُ بِالْكُلِّيَّةِ، فَإِذَا كَانَ مَوْتُهُ قَرِيبًا مِنْ مَوْتِ الْأَوَّلِ كَانَ مَوْتُهُ حَاصِلًا حَالَ بَقَاءِ آثَارِ الْأَوَّلِ فَصَحَّ أَنْ يُقَالَ مَاتَ فُلَانٌ عَلَى أَثَرِ فُلَانٍ))(١١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف: ٧]، نقل الإمام الرازي عن الزجاج أنَّ أَيُّهُمْ رُفِعَ بِالِابْتِدَاءِ إِلَّا أَنَّ لَفْظَهُ لَفْظُ الِاسْتِفْهَامِ، وَالْمَعْنَى لِنَخْتَبِرَ وَنَمْتَحِنَ هَذَا أَحْسَنُ عَمَلًا أَمْ ذَاكَ(١٢).

وهذا خروج دلالة (أي) الأصلية إلى معنى الأخبار و التعليل.

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ [الكهف: ٨]، وكذلك نجد التوكيدات في (إنَّا) واللام ، وتكرار الصفة (صعيدًا- جرزًا) على هول المشهد وعظته، وكذلك نون العظمة (إنَّا) والله أعلم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٦ – ٩]، هنا (أم) قد خرجت عن معناها الأصلي لأنها لم تسبق بهمزة استفهام ، فاحتمل أبو منصور الماتريدي معنى (أم) بمعنى: (بل) حسبت، كقوله: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ)، أي: بل يقولون، فعلى ذلك قوله: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ). وقد ذكرنا في غير موضع أن حرف الاستفهام من الله يكون على الإيجاب والإلزام(١٣).

ونقل ابن عطية مذهب سيبويه في (أَمْ) إذا جاءت دون أن يتقدمها ألف استفهام أنها بمعنى (بل) وألف الاستفهام كأنه قال: بل أحسبت إضرابًا عن الحديث الأول واستفهامًا عن الثاني وقال بعض النحويين: هي بمنزلة ألف الاستفهام(١٤). وهذا يدلنا على خروج (أم) وانتقالها إلى الفرعية فيها معنى مزيد على أصليتها بأنها احتملت الاضراب والاستفهام، وما ذهب إليه الطاهر بن عاشور يقدر أحيانًا بعدها الاستفهام لا قبلها فقال:(((أَمْ) هَذِهِ هِيَ (أَمِ) الْمُنْقَطِعَةُ بِمَعْنَى (بَلْ) ، وَهِيَ مُلَازِمَةٌ لِتَقْدِيرِ الِاسْتِفْهَامِ مَعَهَا، يُقَدَّرُ بَعْدَهَا حَرْفُ اسْتِفْهَامٍ، وَقَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا بَعْدَهَا كَقَوْلِ أُفْنُونِ التَّغْلِبِيِّ:

أَنَّى جَزَوْا عَامِرًا سوءا بضعته ... أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوأَى عَنِ الْحَسَنِ

وَالِاسْتِفْهَامُ الْمُقَدَّرُ بَعْدَ (أَمْ) تَعْجِيبِيٌّ مِثْلُ الَّذِي فِي الْبَيْتِ))(١٥).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

[الكهف: ١٠]
لماذا طلبوا من الله تعالى الرحمة وهنا الموقف لا بدَّ وأن يناسبه الحفظ والأمن ؟ وكذلك نلمس من النص الحيرة لدى أصحاب الكهف وهو طلبهم للرشد
قال الزمخشري: ((مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً أى رحمة من خزائن رحمتك، وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رَشَداً حتى تكون بسببه راشدين مهتدين، أو اجعل أمرنا رشدا كله، كقولك: رأيت منك أسدًا))[١٦].
وذكر ابن عطية أنَّ هذا الدعاء منهم كان في أمر دنياهم، وألفاظه تقتضي ذلك، وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة ورحمتها، وينبغي لكل مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه هذه الآية فقط، فإنها كافية، ويحتمل ذكر (الرحمة) أن يراد بها أمر الآخرة[١٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الكهف: ١١]
لماذا اختار المبدع لفظ (الضرب) ؟ وما هو دلالة حذفه للمفعول وهو خلاف القياس وهو الذكر ؟ وكذلك إبهام وتعمية السنين بالعدد؟.
قال الزمخشري: ((فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ أى ضربنا عليها حجابًا من أن تسمع، يعنى: أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات، كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه.
فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال: بنى على امرأته، يريدون: بنى عليها القبة.
سِنِينَ عَدَداً ذوات عدد، فيحتمل أن يريد الكثرة وأن يريد القلة، لأن الكثير قليل عنده، كقوله: ((لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا ساعَةً مِنْ نَهارٍ))، وقال الزجاج: إذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج أن يعدّ، وإذا كثر احتاج إلى أن يعد))[١٨].
بيَّن ابن عطية معنى الضرب وما به من الاستعارة فقال: ((فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ الآية عبارة عن إلقاء الله تعالى النوم عليهم، ويعبر عن هذا ونحوه بـ(الضرب)) لتبين قوة المباشرة وشدة اللصوق في الأمر المتكلم فيه والإلزام، ومنه ضرب الذلة والمسكنة، ومنه ضرب الجزية، ومنه ضرب البعث. ومنه قول الفرزدق: [الكامل]

ضربت عليك العنكبوت بنسجها ... وقضى عليك به الكتاب المنزل

فهذا يستعمل في اللزوم البليغ
وبعد ذلك علل ابن عطية ما سبب تخصيص (الآذان) بالذكر؛ فلأنها الجارحة التي منها عظم فساد النوم، وقلّما ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه، ولا يستحكم نوم إلا مع تعطل السمع، ومن ذكر الأذن في النوم قوله ﷺ :((ذلك رجل بال الشيطان في أذنه)) أشار عليه

السلام إلى رجل طويل النوم لا يقوم بالليل، وقوله عَدَداً نعت للسنين، والقصد به العبارة عن التكثير، أي تحتاج إلى عدد وهي ذات عدد، قال الزجاج: ويجوز أن يكون نصب عَدَداً على المصدر(١٩).

بين الطاهر بن عاشور سبب حذف المفعول به فقال: ((وَحذف مفعول فَضَرَبْنا لِظُهُورِهِ، أَيْ ضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ غِشَاوَةً أَوْ حَائِلًا عَنِ السَّمْعِ، كَمَا يُقَالُ: بَنَى عَلَى امْرَأَتِهِ، تَقْدِيرُهُ: بَنَى بَيْتًا، بعد ذلك وضَّح ما هو السبب في ضرب الآذان فقال: ((وَالضَّرْبُ عَلَى الْآذَانِ كِنَايَةٌ عَنِ الْإِنَامَةِ لِأَنَّ النَّوْمَ الثَّقِيلَ يَسْتَلْزِمُ عَدَمَ السَّمْعِ، لِأَنَّ السَّمْعَ السَّلِيمَ لَا يَحْجُبُهُ إِلَّا النَّوْمُ، بِخِلَافِ الْبَصَرِ الصَّحِيحِ فَقَدْ يُحْجَبُ بِتَغْمِيضِ الْأَجْفَانِ.

وَهَذِهِ الْكِنَايَةُ مِنْ خَصَائِصِ الْقُرْآنِ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ وَهِيَ مِنَ الْإِعْجَازِ))(٢٠).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف: ١٢ – ١٣]

لِمَ المبدع في هذا النص الكريم استعمل لفظ البعث ولم يستعمل غيره وهم لم يموتوا موتة كبرى حتى يبعثوا؟ وكذلك قوله (لنعلم) وهو علام الغيوب لا تخفى عليه خافية؟.

قال ابن عطية: ((والبعث التحريك بعد سكون، وهذا مطرد مع لفظة البعث حيث وقعت، وقد يكون السكون في الشخص أو عن الأمر المبعوث فيه وإن كان الشخص متحركا.

وبعد ذلك فسر قوله: (لِنَعْلَمَ) عبارة عن خروج ذلك الشيء إلى الوجود، وهذا على نحو كلام العرب أي لنعلم ذلك موجودا، وإلا فقد كان الله تعالى علم أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أحصى الأمد))(٢١).

وبيَّن العلامة الطاهر بن عاشور لماذا ذكر البعث فقال: ((وَالْبَعْثُ: هُنَا الْإِيقَاظُ، أَيْ أَيْقَظْنَاهُمْ مِنْ نَوْمَتِهِمْ يَقَظَةَ مَفْزُوعٍ. كَمَا يُبْعَثُ الْبَعِيرُ مِنْ مَبْرَكِهِ. وَحَسَّنَ هَذِهِ الِاسْتِعَارَةَ هُنَا أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ إِثْبَاتُ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ فَكَانَ فِي ذِكْرِ لَفْظِ الْبَعْثِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ فِي هَذِهِ الْإِفَاقَةِ دَلِيلًا عَلَى إِمْكَانِ الْبَعْثِ وَكَيْفِيَّتِهِ))(٢٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٢ – ١٤]

قوله تعالى: (آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ) : فيه التفاتٌ من التكلم إلى الغيبة إذ لو جاء على نَسَقِ الكلامِ لقيل: إنهم فتيةٌ آمنوا بنا. وقوله: (وزِدْناهُم) (وَرَبَطْنا) التفاتٌ من هذه الغَيْبَة إلى التكلم أيضاً(٢٣).

فصل الطاهر بن عاشور في معنى الربط وهو على خلاف أصله فقال: ((وَالرَّبْطُ عَلَى الْقَلْبِ مُسْتَعَارٌ إِلَى تَثْبِيتِ الْإِيمَانِ وَعَدَمِ التَّرَدُّدِ فِيهِ، فَلَمَّا شَاعَ إِطْلَاقُ الْقَلْبِ عَلَى الِاعْتِقَادِ اسْتُعِيرَ الرَّبْطُ عَلَيْهِ لِلتَّثْبِيتِ عَلَى عَقْدِهِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: لَوْلا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [الْقَصَص: ١٠] . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: هُوَ رَابِطُ الْجَأْشِ، وَفِي ضِدِّهِ يُقَالُ: اضْطَرَبَ قَلْبُهُ، وَقَالَ تَعَالَى: وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ [الْأَحْزَاب:١٠] . اسْتُعِيرَ الِاضْطِرَابُ وَنَحْوُهُ لِلتَّرَدُّدِ وَالشَّكِّ فِي حُصُولِ شَيْءٍ.

وَتَعْدِيَةُ فِعْلِ رَبَطْنا بِحَرْفِ الِاسْتِعْلَاءِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الشَّدِّ لِأَنَّ حَرْفَ الِاسْتِعْلَاءِ مُسْتَعَارٌ لِمَعْنَى التَّمَكُّنِ مِنَ الْفِعْلِ.

وإِذْ قامُوا ظَرْفٌ لِلرَّبْطِ، أَيْ كَانَ الرَّبْطُ فِي وَقْتٍ فِي قِيَامِهِمْ، أَيْ كَانَ ذَلِكَ الْخَاطِرُ الَّذِي قَامُوا بِهِ مُقَارِنًا لَرَبْطِ اللَّهِ عَلَى قُلُوبِهِمْ، أَيْ لَوْلَا ذَلِكَ لَمَا أَقْدَمُوا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ الْعَمَلِ وَذَلِكَ الْقَوْلِ.

بعد ذلك وضح أيضًا معنى القيام واحتماله للاوجه فقال:((وَالْقِيَامُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حَقِيقِيًّا، بِأَنْ وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْ مَلِكِ الرُّومِ الْمُشْرِكِ، أَوْ وَقَفُوا فِي مَجَامِعِ قَوْمِهِمْ خُطَبَاءَ مُعْلِنِينَ فَسَادَ عَقِيدَةِ الشِّرْكِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْقِيَامُ مُسْتَعَارًا لِلْإِقْدَامِ وَالْجَسْرِ عَلَى عَمَلٍ عَظِيمٍ، وَلِلِاهْتِمَامِ بِالْعَمَلِ أَوِ الْقَوْلِ، تَشْبِيهًا لِلِاهْتِمَامِ بِقِيَامِ الشَّخْصِ مِنْ قُعُودٍ لِلْإِقْبَالِ عَلَى عَمَلٍ مَا، كَقَوْلِ النَّابِغَةِ:

بِأَنَّ حِصْنًا وَحَيًّا مِنْ بَنِي أَسَدٍ ... قَامُوا فَقَالُوا حِمَانَا غَيْرُ مَقْرُوبِ

فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ قِيَامٌ بَعْدَ قُعُودٍ بَلْ قَدْ يَكُونُونَ قَالُوهُ وَهُمْ قُعُودٌ.

وَعَرَّفُوا اللَّهَ بِطَرِيقِ الْإِضَافَةِ إِلَى ضَمِيرِهِمْ: إِمَّا لِأَنَّهُمْ عُرِفُوا مِنْ قَبْلُ بِأَنَّهُمْ عَبَدُوا اللَّهَ الْمُنَزَّهَ عَنِ الْجِسْمِ وَخَصَائِصِ الْمُحْدَثَاتِ، وَإِمَّا لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا))(٢٤).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ ﴾ [الكهف: ١٦]

فسَّر الماتريدي الوحدة اللغوية ينشر والرحمة في هذا الموضع: ((قَالَ بَعْضُهُمْ: يخلق لكم ربكم، كقوله: (وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا) بالراء، أي: كيف نخلقها. وقَالَ بَعْضُهُمْ: (يَنْشُرْ لَكُمْ)، أي: يبسط، والنشر: هو البسط.

قوله عَزَّ وَجَلَّ: (مِنْ رَحْمَتِهِ): يحتمل الرزق، ويحتمل كل شيء به يدفع الهلاك عن أنفسهم))(٢٥).

أما الطاهر بن عاشور فقد وضح العلاقة التهيئة فقال:((وَتَهْيِئَتُهُ مُسْتَعَارَةٌ لِلْإِكْرَامِ بِهِ وَالْعِنَايَةِ، تَشْبِيهًا بِتَهْيِئَةِ الْقِرَى لِلضَّيْفِ الْمُعْتَنَى بِهِ))(٢٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٧]

بيَّن الزمخشري استعمال الوحدة اللغوية (تزاور) فقال :(((تَّزَاوَرُ) أي تمايل ، أصله تتزاور فخفف بإدغام التاء في الزاي أو حذفها . وقد قرىء «بهما» . وقرئ «تزورّ وتزوارّ» بوزن تحمرّ وتحمارّ ، وكلها من الزور وهو الميل . ومنه زاره إذا مال إليه . والزور : الميل عن الصدق))(٢٧).

وضح مكي بن أبي طالب القيسي اختيار المبدع لفظة (تقرضهم) فقال :((أي: تتركهم ذات الشمال. يقال: منه قرضت موضع كذا، إذا قطعته فجاوزته، هذا مذهب البصريين.

وقال الكوفيون: قرضت موضع كذا أي: حاذيته. وحكوا عن العرب: قرضته دبراً وقبلاً: وحدوته ذات اليمين والشمال. أي: كنت بحدائه.

وأصل القرض: القطع. ومنه تسمى المقص: مقراضاً لأنه يقطع به))(٢٨).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾[الكهف: ١٨].

اختار المبدع الكلب من بين سائر الحيوانات وقرنه بذكرهم ،فخبّر أنّهم لم يستصحبوا من جميع من يألف النّاس ويرتفقون به، ويسكنون إليه، شيئًا غير الكلب، فإنّ ممّا يألف النّاس ويرتفقون به، ويسكنون إليه، شيئا غير الكلب، فإنّ ممّا يألف النّاس ويرتفقون به، ويسكنون إليه: الفرس والبعير والحمار والبغل، والثّور والشاة، والحمام والدّيكة، كلّ ذلك مما يرتفق به ويستصحب في الأسفار، وينقل من بلد إلى بلد.

والناس يصطادون بغير الكلب، ويستمتعون بأمور كثيرة، فخبّر عنهم بعد أن جعلهم خيارًا أبرارًا، أنّهم لم يختاروا استصحاب شيء سوى الكلب، وليس يكون ذلك من الموفّقين المعصومين المؤيّدين، إلّا بخاصّة في الكلب لا تكون في غيره.

ثمّ أعاد ذكر الكلب، ونبّأ عن حاله، بأن قال عزّ وجلّ: {إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً. سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ. فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً} وفي قولهم في الآية {ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ}

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًاۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الكهف: ٢١ - ٢٢]، دليل على أنّ الكلب رفيع الحال، نبيه الذكر، إذ جعل رابعهم، وعطف ذكره على ذكرهم، واشتقّ ذكره من أصل ذكرهم، حتّى كأنّه واحد منهم، ومن أكفائهم أو أشباههم أو ممّا يقاربهم. ولولا ذلك لقال: سيقولون ثلاثة معهم كلب لهم. وبين قول القائل معهم كلب لهم، وبين قوله (رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ) فرق بيّن وطريق واضح[٢٩].

وكذلك اختيار المبدع الاسم وهو (باسط) على الفعل ولم يقل (يبسط) ولو أردنا أن نبدل (يبسط) الفعل بـ(باسط) الاسم لا يؤدي الغرض قال عبد القاهر الجرجاني:((فإن أحداً لا يَشكُّ في امتناع الفعل ههنا؛ وأنَّ قولَنا: (كلبهم يبسط ذراعيه)، لا يؤدي الغرضَ. وليس ذلك إلاَ لأن الفعل يقتضي مزاولةً وتجدُّدَ الصفةِ في الوقت، ويَقْتضي الاسمُ ثُبوتَ الصفةِ وحُصولها، من غير أن يكون هناك مُزاولةٌ وتَزْجيةُ فعلٍ ومعنىً يَحْدُث شيئاً فشيئًا. ولا فرْقَ بين "وكلبهم باسِطٌ" وبينَ أن يقول: (وكلْبُهم واحد). مثلاً في أنك لا تُثْبِتُ مُزاولةً ولا تَجعل الكَلْبَ يفعل شيئاً، بل تُثْبِتهُ بصفةٍ هو عليها. فالغرضُ إذن تَأديةُ هيئةِ الكلبِ. ومتى اعتبرْتَ الحالَ في الصفات المشبَّهةِ وجَدْتَ الفرْقَ ظاهراً بيِّناً، ولم يَعترضْك الشكُّ في أنَّ أحدَهما لا يَصْلُح في موضعِ صاحبه. فإذا قلتَ: (زيدٌ طويلٌ وعمرو قصيرٌ). لم يصلُحْ مكانَه: يَطولُ ويَقْصُرُ، وإنما تقول: (يطول ويَقْصُر) إذا كان الحديث عن شيء يَزيد ويَنمو، كالشجر

والنبات والصبيّ ونحْوِ ذلك مما يتجدد فيه الطولُ أو يَحْدثُ فيه القِصَر. فأمَّا وأنتَ تُحدِّثُ عن هيئةٍ ثابتةٍ وعن شيءٍ قد استقرَّ طولُه، ولم يكن ثمَّ تَزايدٌ وتجدُّدٌ، فلا يَصْلُح فيه إلاّ الاسْمُ))[٣٠].

ونجد استعمال الوحدة اللغوية الفرعية وهي (يبسط) ولم يستعمل (يمد) إذاً هناك دلالة الأصل وزيادة قال الراغب : ((بَسْطُ الشيء: نشره وتوسيعه، فتارة يتصوّر منه الأمران، وتارة يتصور منه أحدهما، ويقال: بَسَطَ الثوب: نشره، ومنه: البِسَاط، وذلك اسم لكلّ مَبْسُوط، قال الله تعالى: وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً [نوح/ ١٩] والبِسَاط: الأرض المتسعة وبَسِيط الأرض: مبسوطه، واستعار قوم البسط لكل شيء لا يتصوّر فيه تركيب وتأليف ونظم، قال الله تعالى: وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ [البقرة/ ٢٤٥] ، وقال تعالى: وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ [الشورى/ ٢٧] أي: لو وسّعه، ((وَزادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ)) [البقرة/ ٢٤٧] أي: سعة.

قال بعضهم: بَسَطْتُهُ في العلم هو أن انتفع هو به ونفع غيره، فصار له به بسطة، أي: جودا. وبَسْطُ اليد: مدّها. قال عزّ وجلّ: وَكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ [الكهف/ ١٨] ، وبَسْطُ الكف يستعمل تارة للطلب نحو: كَباسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْماءِ لِيَبْلُغَ فاهُ [الرعد/ ١٤] ، وتارة للأخذ، نحو: وَالْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ [الأنعام/ ٩٣] ، وتارة للصولة والضرب. قال تعالى: وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ [الممتحنة/ ٢] ، وتارة للبذل والإعطاء: بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ [المائدة/ ٦٤] . والبَسْطُ: الناقة تترك مع ولدها، كأنها المبسوط نحو: النّكث والنّقض في معنى المنكوث والمنقوض، وقد أَبْسَطَ ناقتَه، أي:
تركها مع ولدها[٣١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الكهف: ١٩] نجد استعمل تعالى (يشعرنَّ)، وكما هو معلوم الشين صفتها التفشي والانتشار وأصحاب الكهف نهوا صاحبهم عدم كشف أمره فاستعمل المبدع هذه الصوت في الوحدة الصوتية دون غيرها

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾
[الكهف: ٢٠]

وهنا ناسب أن يذكر القتل بدل الرجم ، لكن لما اختار هذه الوحدة اللغوية وهي فرع القتل دلَّ على أن الرجم فيه معنى القتل وزيادة قال الزجاج: ((والرجْمُ مِنْ أخبَثِ القَتْل))(٣٢).
وأحيانًا يستعار الرجم للرمي بالظن والتوهم وللشتم والطرد نحو قوله تعالى: ((رجما بالغيب)) ، قال الشاعر :
(وما هو عنها بالحديث المرجم ...)
وقوله تعالى :((لأرجمنك واهجرني مليَّاً)) ، أي لأقولن فيك ما تكره . والشيطان الرجيم المطرود عن الخيرات وعن منازل الملإ الأعلى(٣٣).
وهذا المعنى الشتم والرمي بالظنِّ بالباطل يكون أشدُّ إيذاءً من القتل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الكهف: ٢٣ – ٢٥]

قال الراغب ((وقال بعضهم : الرشد أخص من الرشد ، فإن الرشد يقال في الأمور الدنيوية والأخروية ، والرشد يقال في الأمور الأخروية لا غير . والراشد والرشيد يقال فيهما جميعا ، قال تعالى : ((أولئك هم الراشدون)) – ((وما أمر فرعون برشيد))(٣٤).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩]

قال الزمخشري: ((وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ الحق) خبر مبتدأ محذوف، والمعنى: جاء الحق وزاحت العلل، فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك. وجيء بلفظ الأمر والتخيير، لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء، فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين. شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق، وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط))(٣٥).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ

فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الكهف: ٣٠ – ٣١].

استعمال صيغة جمع الجمع في قوله :(أساور) ولم يقل (أسورة) لابدَّ فيها دلالة أكثر وأبيَّن قال الطاهر بن عاشور : ((وَالْأَسَاوِرُ: جَمْعُ سِوَارٍ عَلَى غَيْرِ قِيَاس. وَقِيل: أَصله جَمْعُ أَسْوِرَةٍ الَّذِي هُوَ جَمْعُ سِوَارٍ. فَصِيغَةُ جَمْعِ الْجَمْعِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى اخْتِلَافِ أَشْكَالِ مَا يُحَلَّوْنَ بِهِ مِنْهَا، فَإِنَّ الْحِلْيَةَ تَكُونُ مُرَصَّعَةً بِأَصْنَافِ الْيَوَاقِيتِ))(٣٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الكهف: ٣٢]

فرَّق الراغب بين اختيار الوحدة اللغوية (حفَّ) بدل (وسط) فقال : ((وقال عز وجل : ((وحففناهما بنخل)) وفلان في حفف من العيش أي في ضيق كأنه حصل في حفف منه أي جانب بخلاف من قيل فيه هو في واسطة من العيش . ومنه قيل من حفنا أو رفنا فليقتصد ، أي من تفقد حفف عيشنا . وحفيف الشجر والجناح صوته فذلك حكاية صوته ، والحف آلة النساج سمي بذلك لما يسمع من حفه وهو صوت حركته(٣٧).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الكهف: ٣٣ – ٣٦].

ذكر الزمخشري المعنى في إفراد الجنة بعد التثنية وجه العدول والانزياح فيها فقال : ((فإن قلت: فلم أفرد الجنة بعد التثنية؟ قلت: معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها، يعنى أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون، فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير، ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وهو معجب بما أوتى مفتخر به كافر لنعمة ربه، معرّض بذلك نفسه لسخط الله، وهو أفحش الظلم. إخباره عن نفسه(٣٨).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الكهف: ٣٧].

أبو منصور الماتريدي احتمل اكثر من معنى للمحاورة وهذا يدخل ضمن الحقل الدلالي لمعنى (المحاورة) فقال : (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يكلمه أو يجيبه أو ينازعه ويناظره:

بعد ذلك بيَّن الوقف والابتداء فيما يستقيم الكلام به فقال: (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) لا يحتمل أن يكون هذا الخطاب منه على الابتداء؛ لأنه لا يصلح على الابتداء؛ فيشبه أن يكون كان من صاحبه له وعيد وتخويف، فعند ذلك قال له ما ذكر[٣٩].

أما الزمخشري نفى لهذِهِ الوحدة اللغوية الاشتراك فقال:((وهو يراجعه الكلام ، من حار يحور إذا رجع ، وسألته فما أحار كلمة))[٤٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الكهف: ٤٣ – ٤٤]

بيَّنَ أبو بكر الرازي موضحًا الدلالة الصرفية بكسر الواو أو فتحها وما تحتمله من معنى فقال : ((فإن قيل: كيف قال: (هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ) يعني في يوم القيامة أو في مقام الآخرة، والولاية بكسر الواو السلطان والملك، وبفتح الواو التولي والنصرة، وكل ذلك لله تعالى في الدنيا والآخرة، يعز من يشاء ويذل من يشاء، وينصر من يشاء ويخذل من يشاء، ويتولى من يشاء بحراسته وحفظه، فما فائدة تخصيص يوم القيامة؟ قلنا: فائدته أن الدعاوى المجازية كثيرة في الدنيا، ويوم القيامة تنقطع كلها ويسلم الملك لله تعالى عن كل منازع))[٤١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧ – ٤٩].

قال أبو بكر الرازي:((فإن قيل: كيف قال تعالى: (وَحَشَرْنَاهُمْ) بلفظ الماضي وما قبله مضارعان، وهما قوله تعالى: (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) أي لا شيء عليها يسترها كما كان في الدنيا؟

قلنا: للدلالة على أن حشرهم كان قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال وتلك العظائم، كأنه قال: وحشرناهم قبل ذلك))[٤٢].

وفرَّق الطاهر بن عاشور بين دلالة الوحدة اللغوية في الماضي والمستقبل فقال:((

(نَحْشُرُهُمْ) بِأَنْ أَطْلَقَ الْفِعْلَ الْمَاضِي عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ تَنْبِيهًا عَلَى تَحْقِيقِ وُقُوعِهِ))[٤٣].

الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله - ﷺ - وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد: فقد توصلت في هذا البحث إلى نتائج عدة هي:

١. إن الأسلوبية كانت موجودة في تراثنا وبكثرة، بدليل وجود هذا الكم الكبير من أسلوبيا؟! من المؤكد أننا نجد نصوصًا كثيرة جدًا، وتصلح لأن يؤلف فيها كتب.
٢. إن الأسلوبية كانت موجودة في تراثنا تطبيقيًا مع وجود نصوص تنظيرية كثيرة، النصوص التي تحلل القرآن الكريم تحليلًا أسلوبيًا ، فكيف لو بحثنا في النصوص التي تحلل الحديث النبوي الشريف، والنصوص التي تحلل الشعر والنثر تحليلًا لكنها لم تعرف فيه أنها منهج ، أي : لم تظهر في تراثنا على أنها منهج.
٣. إن الأسلوبية كانت موجودة في بدء التأليف اللغوي العربي، إذ إننا نجدها في كتب معاني القرآن، وهي من أولى الكتب التي ألفت في تراثنا .
٤. إن التحليل الأسلوبي للقرآن الكريم كان في تراثنا بالمستويات اللغوية كافة:
٥. إن التحليل الأسلوبي يعتمد على المستويات اللغوية الأربعة (الصوتية والصرفية، والنحوية، والدلالية، والتصويرية البيانية)، ويعتمد على غيرها أيضا كالسياق العام والسياق الخاص والقرائن والأحوال وأسباب إنتاج النص.
٦. إن الأسلوبية منهج صالح للإفادة منه في تحليل النص القرآني وفي غيره.
٧. إن باب التأليف في الأسلوبية بقي ويبقى مفتوحًا على مصراعيه سواء في ذلك في القرآن الكريم أو في الحديث النبوي الشريف أو الشعر والنثر ؛ لأن التحليل الأسلوبي يحتمل اختلاف وجهات النظر كثيرًا.

الهوامش:

([١]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٧٠٢/٢
([٢]) البحر المحيط في التفسير: ٧/ ١٣٦
([٣]) التحرير والتنوير: ١٥/ ٢٤٨
([٤]) محاضرة أستاذنا الدكتور. أحمد هاشم .ت
([٥]) تفسير الماتريدي: ٧/ ١٣٤
([٦]) البحر المحيط في التفسير:٧/ ١٣٧
([٧]) مفاتيح الغيب:١٢/ ٤٢٥
([٨]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:٢/ ٧٠٣
([٩]) التحرير والتنوير: ١٥/ ٢٥٢
([١٠]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٤٩٦/٣

(١١) مفاتيح الغيب:٤٢٦/١٢
(١٢) مفاتيح الغيب: ١٢/ ٤٢٧
(١٣) ينظر: تأويلات أهل السنة:١٣٩/٧
(١٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٤٩٧/٣، البحر المحيط في التفسير:١٤١/٧
(١٥) التحرير والتنوير:٢٥٩/١٥
(١٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٧٠٥/٢
(١٧) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥٠٠/٣
(١٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:٢/ ٧٠٥
(١٩) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٣/ ٥٠٠
(٢٠) التحرير والتنوير:١٥/ ٢٦٩
(٢١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٣/ ٥٠٠
(٢٢) التحرير والتنوير: ١٥/ ٢٦٩
(٢٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:٤٥٣/٧
(٢٤) التحرير والتنوير:١٥/ ٢٧٣
(٢٥) تفسير الماتريدي: ٧/ ١٤٥
(٢٦)التحرير والتنوير: ١٥/ ٢٧٧
(٢٧) الكشاف: ٣/ ٥٠٠
(٢٨)الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/ ٤٣٤٢
(٢٩) ينظر: كتاب الحيوان للجاحظ: ٤٨
(٣٠) دلائل الإعجاز في علم المعاني: ١٨٢
(٣١) المفردات في غريب القرآن: ١٢٣
(٣٢) معاني القرآن وإعرابه:٣/ ٢٧٦
(٣٣) المفردات في غريب القرآن:١٩٠
(٣٤) المفردات في غريب القرآن:١٩٦
(٣٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:٢/ ٧١٩
(٣٦) التحرير والتنوير:١٥/ ٣١٢
(٣٧) المفردات في غريب القرآن: ١٢٣
(٣٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:٢/ ٧٢١
(٣٩) ينظر: تفسير الماتريدي:١٧١/٧
(٤٠) الكشاف:١٢/٤
(٤١) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل:٢٩٧
(٤٢) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل: ٢٩٨
(٤٣) التحرير والتنوير: ١٥/ ٣٣٥.

المصادر:

- القرآن الكريم

١. أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودى، الناشر: دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ، ١٩٩١ م.

٢. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، ، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٣. التحرير والتنوير - الطبعة التونسية: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.

٤. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٥. الحيوان: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ.

٦. دلائل الإعجاز في علم المعاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، المحقق: ياسين الأيوبي، الناشر: المكتبة العصرية- الدار النموذجية، الطبعة: الأولى

٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، عدد الأجزاء: ٥.

٩. معاني القرآن وإعرابه : إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٠. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

١١. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد، سنة الولادة / سنة الوفاة ٥٠٢هـ، تحقيق محمد سيد كيلاني، الناشر دار المعرفة، سنة النشر ، مكان النشر لبنان.

١٢. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.